

أضواء البيان

@ 189 { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا ۖ لَا يَرَكَعُونَ - وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعَدَهُ يُؤْمِنُونَ } فقوله تعالى : { وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ } كقوله هنا { وَيَلُّ لِّلْكُلِّ أَفْوَكَ أَثِيمٍ } . . . وقد كرر تعالى وعيد المكذبين بالويل في سورة المرسلات كما هو معلوم وقوله في آخر المرسلات : { فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعَدَهُ يُؤْمِنُونَ } كقوله هنا في الجاثية : { فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعَدَ اللَّهَ - وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ } . ومعلوم أن الإيمان بـ [على الوجه الصحيح ، يستلزم الإيمان بآياته ، وأن الإيمان بآياته كذلك يستلزم الإيمان به تعالى ، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة { يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } يدل على أن من يسمع القرآن يتلى ثم يصر على الكفر والمعاصي في حالة كونه متكبراً عن الانقياد إلى الحق الذي تضمنته آيات القرآن كأنه لم يسمع آيات [، له البشارة يوم القيامة بالعذاب الأليم وهو الخلود في النار ، وما تضمنته هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في غير هذا الموضع كقوله تعالى في لقمان : { وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُ تُنذَارًا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ } وقوله تعالى في الحج : { وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ تُنذَارًا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ السَّادِّينَ كَفَرُوا ۗ أَلْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قُلُوفًا نُزِيئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَالِكُمْ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ ۗ السَّادِّينَ كَفَرُوا ۗ وَبئس المصير } وقوله تعالى : { وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ } ، فقوله تعالى عنهم : ماذا قال آنفًا . يدل على أنهم ما كانوا يبالون بما يتلو عليهم النبي صلى [عليه وسلم من الآيات والهدى . . .

وقد ذكرنا كثيراً من الآيات المتعلقة بهذا المبحث في سورة فصلت في الكلام على قوله تعالى : { فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ } وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِئِدَاؤُنَا نَزَّاهًا وَقُرْ وَمِنْ بَيِّنَاتٍ وَبَيِّنَاتٍ حِجَابٌ } . . .

وقوله تعالى في هذه الآية . { كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا } خفت فيه لفظة كأن ، ومعلوم أن كأن إذا خفت كان اسمها مقدرًا وهو ضمير الشأن والجملة خبرها كما قال في الخلاصة :
كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا { خفت فيه لفظة كأن ، ومعلوم أن كأن إذا خفت كان اسمها مقدرًا وهو ضمير الشأن والجملة خبرها كما قال في الخلاصة :